الظلاميون العرب
وقضية تزوير النص باسم التنوير

إن إعادة قراءة النصّ التي تعنى إنتاج النصّ إنتاجاً يوافق فكرية القارىء واتجاهاته، بصرف النظر عن دلالات النصّ الحقيقية، وذلك عن طريق تأويل النصّ تأويلاً قد ينقله من اليمين إلى اليسار، ومن الإيمان إلى الكفر بحيث يصبح النص بدلالته المعجمية، وبتعبيره عن قائله وعصره.. أمراً ثانويا لا قيمة له.. بل أمراً مرفوضاً أحيانا..!!

هذه الإعادة للقراءة وهذا الإنتاج الجديد للنص.. عملان مرفوضان بكل المقاييس العقلية والأخلاقية.. بل هما - كما قال كثير من المفكرين - بحق - تزوير من أعجب ما عرفت الحضارات من تزوير، ومصادرة لكل العقول والعصور في التعبير عن رؤيتها وطبيعتها، وقهرها كي تكون معبرة عن رؤية غير رؤيتها، وطبيعة غير طبيعتها دون اعتبار للمنطق والعقل والحق!!

د. عبد الحليم عويس
مصر

- ففي كتابه عن جمال الدين الأفغاني - بمناسبة مرور مئة سنة على وفاته - كتب الدكتور حسن حنفي المفكر المصري يقول: إن دراسته تعتمد على منهج إعادة القراءة، وإعادة إنتاج النص، ونقله من ظروف القرن الماضي إلى ظروف هذا القرن، تمثلاً للأفغاني وروح عمله.. (١).

- والجملة الأخيرة من هذا النص تَنْقُضُ العبارات الأولى.. فَتَمثُّل الأفغاني وروح عمله يقتضي - بل يوجب - قراءته كما أراد الأفغاني نفسه، ويوجب - أيضاً - ربط النص بسياقه التاريخي والمعرفي وعدم فصله عن ظروف إبداعه!!

- وفي كتابه «نقد النص» يتحدث «علي حرب» حديثاً يكاد يكون مطابقاً لحديث «حسن حنفي» عن القراءة الجديدة للنصّ.. فيقول:

- «أن يكون النص منطقة للتفكير أو حقلاً للبحث معناه أنه يحتاج إلى قراءة تحوله من مجرد إمكان إلى فعل معرفي منتج، ولهذا فشرط القراءة وعلة وجودها أن تختلف عن النص الذي تقرؤه وأن تكتشف فيه ما لا يكشفه بذاته، أو ما لم ينكشف فيه من قبل.

وأما القراءة التي تقول ما يريد المؤلف قوله، فلا مبرر لها أصلاً، لأن الأصل هو أولى منها وما يغني عنها، إلا إذا كانت القراءة تدعي أساساً أنها

يريد «الظلاميون العرب» التعامل مع «نور الإسلام» كما تعامل «التنويريون الغربيون» مع «ظلام العصور الوسطى» !!

تقول ما لم يحسن المؤلف قوله.. وفي هذه الحالة تغني القراءة عن النص، وتصبح أولى منه»..

«وهكذا ثمة قراءة تلغي النصّ، تقابلها قراءة تلغي نفسها هي أشبه باللا قراءة، وأعني بها القراءة الميتة التي هي نوع من اللغو أو الهذر والثرثرة، أما القراءة الحيّة فهي تقرأ في النص المختلف عن ذاته ما يختلف في الوقت نفسه عنه (٢).

- ونكتفي بهذين النصّين للاستدلال بهما على أننا أمام تأليف جديد، وإسقاطات دلالية جديدة، تحت ما يسمى «القراءة الجديدة» أو تحويل النص إلى فعل معرفي منتج جديد، بحيث تختلف القراءة عن النص الذي نقرؤه، بل - بكل وضوح - إلغاء دلالات النص، بحيث يكون النص ليس نصاً، ويقرأ الكاتب ما يريد أن يسقطه من فكره، فلو كان رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من طلائع الإيمان، ومن دعاة التقدم والتنوير على أساس ثوابت الأمة، فيمكن تحويلهم إلى دعاة إلحاد، وقادة هدم للأديان كلها!!

- ونحن نتساءل: لماذا القراءة أصلاً؟

ولماذا نقرأ الآخرين إذا كنا سنفرض عليهم فكرنا وعصرنا، ونلغي أفكارهم وعصورهم؟!!

وإذا لم يكن هذا تزويراً وإلغاءً، فماذا يكون التزوير والإلغاء إذن؟!

ولماذا نصرُّ على توظيف الآخرين في الرعاية لأفكارنا والتستر من خلفهم؟ ولماذا لا ندعو لأفكارنا بوضوح دون أن نختفي - ظلما - وراء الآخرين للترويج لأفكار نعجز عن الإفصاح عنها؟!

- ويزداد الأمر حدة وتضليلاً إذا طبقنا هذا المنهج على النصوص المقدسة التي من وظائفها أن ترسم منهج الحياة للناس، وتحدد علاقتهم بالله من خلال العقيدة، وعلاقتهم بالناس الآخرين من خلال الشريعة... فهنا يمكن إلغاء الوحي، ويمكن تطويع

كل قراءة للنصوص للأيديولوجيات المسبقة، وللحكام، والأهواء، والتقلبات الفكرية والسياسية، حتى تُبرِّر الأوضاع المتردّية في كل عصر، وتبحث عن المخارج لكل أنواع الابتذال والانحطاط، وبالتالي تجري النصوص وراء تقلبات العصور بعد أن تفقد اتصالها بالثوابت الإنسانية التي تنظم علاقة الإنسان بالكون وخالق الكون والحياة والأحياء.

– ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إن هذا هو المقصود الأسمى من وراء ما يسمى بإعادة إنتاج النص أو بقراءته قراءة جديدة، أو بتحقيق عصريته أو تحديثه، أو تأويله.. إلى غير ذلك.

– وقد رأينا الصلة الوثيقة بين أصحاب هذا المنهج وبين المركسة والعلمنة والاستغراب والصهينة، ووجدنا أنهم يقفزون من وراء تخصصاتهم، نقداً كان أو أدباً أو فلسفة أو فكراً إلى الطعن في الأديان، وإلى تأليه العقل على حساب النقل، بل إلى تأليه العقل وإلغاء النقل، بحيث يكون العقل وحده هو المعبود الذي لا شريك له من وحي أو نبوة.. وبالتالي ينتهي دور الأديان والثوابت والقيم المطلقة، وتَعْبُدُ البشرية العقل وحده، حتى لتبيح تحت مظلته المطاطة زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة!!

– وفي موقف من المواقف يعود الأستاذ «محمد أركون» – الكاتب الجزائري الفرنسي، إلى شيء من الحق بعد أن سقطت معظم مقولاته، الداعية إلى لاهوت العقل وحده، ولم تترك مقولاته وأطروحاته إلا الجراثيم السامة في تراث بعض الزاهدين في الحق، الراغبين في عبادة الدنيوية وحدها لا شريك لها.

– يعود «أركون» في حديث دار بينه وبين «أدونيس»، إلى شيء من الحق، فيصرِّح أنَّ مشروعه الفكري يقوم على تحرير النص الأول، أي الوحي القرآني من النص الثاني، أي من تأويله وشروحاته، لأن هذا الأخير حجَبَ النصّ الأوّلَ وأسره، مشكِّلاً بذلك حجاباً كثيفاً حال بين المسلم وبين الوصول إلى الظاهرة الأولى التي هي «الظاهرة المعجزة» على حد تعبير «أركون» «مواقف عدد ٥٤» (٣).

– وعندما يصرح الأستاذ أركون بهذا الإيمان «بالظاهرة المعجزة» تقوم قيامة تلميذه «الملكي أكثر من الملك» علي حرب فينبري للقول:

– ليس المهم ما يُصرِّح به أركون، وإنما المهم منطق بحثه وبنية تفكيره، وليس المهم ما يقوله عن نفسه ويعترف به، بل المهم معنى أقواله، والأهم ما يحجبه ويسكت عنه. ويبدو أن علي حرب وأمثاله يعلمون ما في الصدور!!.

– ولهذا فإني أعتبر – والكلام لعلي حرب – أنَّ اعتراف أركون

في حديثه لأدونيس عن صلته الحميمة «بظاهرة الوحي» موقف إيماني عقائدي أو عشقي، لا موقف ناقد محلل «!!».

محمد عابد الجابري

– ولكن للمسألة وجهها الآخر وهو الأهم – والكلام لعلي حرب –

فأركون يقوم بتفكيك بنية النص المفهومية والمصطلحية من أجل الكشف عن قواعد انبنائه وقواعد اشتغاله «أي القرآن» بوصفه نصا له بنيته الأسطورية!!» وله فعاليته الرمزية، وطاقته البيانية الجمالية «....» بل يقوم بعمل الحفر والتفكيك فيكشف عن المحجوب، ويتكلم على ماهو مسكوت عنه، ويقرأ القرآن من خلال تاريخه (٤)

– وتاريخيته – كما هو معروف عن هذه المدرسة – تعني بشريته، وأنه – أي القرآن – إنتاج ثقافي واجتماعي وإنساني!!

– وبالطبع فنحن لا نستطيع أن نتتبع النصوص

اختلاف علي حرب مع د.نصر أبوزيد و د.حسن حنفي لايخرج عن كونه اختلاف الملة الواحدة

اللا معقولة!! والتي تمتهن المنطق والعقل واللغة، وتلعب بالكلمات والعقول، وتحرم البشرية من بناء الحضارات وفق ضوابط عقلية ولغوية محددة المعالم، وتجعل الفكر أو العقل الفردي مجرد لاعب بعقول الآخرين، مستخف بها، يلغيها ويفرض عليها رؤيته العبثية وألاعيبه الجدلية !!.

– وسلام على التراث الإنساني كله وعلى التراث الإسلامي بخاصة!!.

– وفي تعليقه على واحد من أكبر المشاريع في هذا الطريق الوعر المدمر للتراث الفكري الحضاري وهو ما يسمى «بمقدمة المشروع الفكري» للدكتور «حسن حنفي»، يقول الدكتور محمد عمارة:

«وإذا نحن شئنا إيجازاً للمشروع الفكري للدكتور حسن حنفي من خلال كتابه هذا «التراث والتجديد» الجامع «للمقدمات النظرية» لمشروعه كله، فإننا نقول:

إنه محاولة أنسنة الدِّين «أي جعله إنتاجا عقليا إنسانيا كأي إبداع بشري» وتفريغه من محتواه بإلغاء ثوابته ومطلقاته ومقدساته من الله إلى النبوة .... إلى الرسالة.. إلى الوحي.. إلى الغيب.. إلغاء كل ذلك.. بإعطائها مضامين ومفاهيم إنسانية أرضية .. أي إلغاء الغيب كمصدر للمعرفة، وقصرها على عالم الشهادة، وقصرسبل المعرفة على العقل والتجريب وحدهما.. أي إلغاء كل ما يجاوز الحس والمشاهدة، وتأويل كل ما له علاقة بالدين والغيب والألوهية والنبوة والرسالة والوحي على النحو الذي يؤنسنه، ويجعله إفرازاً بشرياً..

– فنحن إذن – بإزاء استعارة لفلسفة «التنوير – الغربي – العلماني» يريد الدكتور حسن حنفي أن يتعامل بها مع الإسلام، كما تعامل التنويريون الغربيون مع النصرانية الأوروبية إبان النهضة الأوروبية الحديثة (٥)!!

– ومن ثم يفضح الدكتور عمارة المشروع التضليلي التنويري لحسن حنفي فيقول:

«يشبه الدكتور حسن حنفي التراث بالمخزون النفسي» وينتقد مذهب الذين يكتفون به.. ومذهب الذين يكتفون بالجديد – الاكتفاء الذاتي للتراث.. والاكتفاء الذاتي للجديد (٦)..

ويقدم مذهبه هو في التعامل مع هذا «المخزون النفسي» – التراث – مذهب التراث والتجديد، فإذا به تصفية لهذا المخزون وتَبْخير له، وتخلص منه، لا «برفضه» كما يصنع أنصار الاكتفاء الذاتي بالجديد – وإنما بإعادة تفسيره التفسير الذي يجعله مساوياً تماما لـ«جديد» أنصار «الاكتفاء الذاتي بالجديد» (٧).

– فهو يلغيه ويصفيه، لكن باسمه وبلغته وتحت مظلته، وهذا منهج أذكى ولا نقول «أخبث»!! في التعامل مع هذا المخزون!! لأنه سبيل «غير مباشر» في التصفية والإلغاء، أما الهدف والغاية فلا مساومة فيها، فمهمة «التراث والتجديد» هي التحرر من السلطة بكل أنواعها: سلطة الماضي، وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه، وتحرير وجداننا المعاصر من الخوف والرهبة والطاعة للسلطة، سواء كانت الموروث أو سلطة المنقول» (٨). «وبالطبع مهما كانت هذه السلطة على الحق!!

– ونحن هنا – كما نرى – إزاء عملية خطيرة، فسوف نجد بين أيدينا انقلاباً كاملاً يتلاعب بعقولنا، يشبه ذلك الانقلاب المزلزل الذي كان يتلاعب به الماركسيون حين كانوا يعمدون إلى تطويع التاريخ والدين والفكر واللغة للرؤية الماركسية، فيمركسون الصحابة رضوان الله عليهم، ويمركسون الإسلام وتاريخه، ويؤولون كل شيء وفق رؤيتهم المادية والصراعية والجدلية!!

– وتجدر الإشارة إلى أن «حسن حنفي» حاول في أطروحته: «Les methodes d,exegese» «طرائق التأويل» الانطلاق من أسباب النزول لاستنتاج أن القرآن ليس وحياً من الله، وأنه يعبِّر عن تجربة محمد البشرية التي يمكن النفاذ منها إلى التجربة البشرية عموماً في بحثها عن حقيقتها الإلهية «أي رسالات كل الأنبياء» وهو ما يخوِّله تأويله – أي تأويل القرآن – حسب حاجات الأمة الإسلامية.. أي أن «الحاجات» في رأي حسن حنفي هي التي تقود القرآن، وليس القرآن هو الذي يقود الحاجات ويهذبها ويقننها ويحتفظ بدائرتها الإنسانية والأخلاقية والربانية.. وهكذا يبدو «حسن حنفي» طول عمره، رافضاً لله وللدين وللوحي السماوي، مؤمنا – فقط – بالإنسان والإلهام الأرضي الذي يسميه «الوحي البشري» أي التجارب الإبداعية.

– وأكثر هؤلاء اللا دينيين خيانة حضارية أولئك الذين يزعمون أنهم مجددون يقومون بما يسمى «النقد اللاهوتي» على غرار ذلك النقد، اللاهوتي الذي عرفته أوربة، ويزعم هؤلاء أن ذلك سبيل من سبل التقدم، متجاهلين الفرق بين اليهودية وتوراتها التي كتبت في ألف سنة من خلال أكثر من مئة كاتب – باعتراف أصحابها أنفسهم!! من الباحثين الأكاديميين من غير اللاهوتيين!!

– ومنها الدين المسيحي الذي ليس له كتاب كالقرآن، وإنما له مجموعة أناجيل تنسب إلى بعض أصحاب المسيح، ومن جاء بعدهم، فالنقد اللاهوتي ينصب أساساً على نقد هذه النصوص التي جمعت في فترة متأخرة، ورويت عن أشخاص عاشروا المسيح أو عاشروا من عاشروه (٩).

– أما في المحيط الإسلامي، فهناك كتاب مقدس هو القرآن، لم يلحقه تغيير ولا تحريف منذ جمع في عهد عثمان – رضي الله عنه – ومن أكبر الأدلة على ذلك أن النزاع الفكري والمسلح الذي قام زمن عثمان بين أصحاب علي من جهة وأصحاب عثمان ومعاوية من جهة أخرى لم تبرز فيه أي تهمة بصدد النص القرآني الذي جمع في عهد عثمان.

– لقد كانت هناك اتهامات متبادلة لا حدود لها وصلت إلى حد التكفير وإلى حد الفتنة والقتل، ولكن لم نسمع عن أي واحد من خصوم عثمان يتهمه بأنه جمع القرآن مبتوراً، أو أحدث فيه هو أو غيره تغييراً (١٠).

– هذا بالإضافة إلى عشرات الأدلة النقلية والتاريخية والعقلية، التي تؤكد أن هذا القرآن الذي بين أيدينا هو الذي حفظه المسلمون في صدورهم، وصلوا به مع نبيهم عليه الصلاة والسلام، في عصر الرسالة ثم في عصور الراشدين، وتعبدوا بتلاوته، آناء الليل وأطراف النهار، وقرأه المسلمون رجالاً ونساءً، في السلم وفي الحرب، ونقلوه هو إلى الأمصار نقلاً متواتراً، لدرجة أن القارىء قد يخطىء في كلمة أو حرف فيردد الناس مهما كان مركزه، ولم يجرؤ مجمع ديني، أو حاكم ديني مهما بلغ فسقه أو جبروته، أن يتدخل في تغيير حرف واحد منه!!

في حديث له مع أدونيس عاد الكاتب الجزائري محمد أركون إلى شيء من الحق بعد أن رأى سقوط مقولاته الداعية إلى لاهوت العقل وحده

– وكم حاول أعداء الإسلام طبع مصاحف، بها بعض التحريف، فقامت الأمة كلها بحرقها والثورة على فاعليها، وبقي القرآن تنقله الأجيال، حجة لله على الناس، وكلمة خاتمة لوحي السماء!!

– وإذن فهو نوع من العبث، والإفساد في الأرض، القول بإمكانية إيجاد نقد لاهوتي للقرآن على غرار التوراة والأناجيل، وكما يقول الأستاذ محمد عابد الجابري:

– فمثل «هذا النقد اللاهوتي لا يمكن ممارسته على القرآن، لأنه من الثابت أنه هو نفسه الذي نزل على النبي محمد، وليس هناك ما يبرر أي شك في هذا، وبالتالي فإن النقد اللاهوتي بالمعنى الأوروبي الحديث، غير ذي موضوع بالنسبة للفكر الإسلامي (١١)

– ويبدو أن هذا العبث ظاهرة مكرورة في التاريخ، وأنه منهج يظهر في بعض عصور الضعف والهوان تقليدا للغالب وذوباناً فيه، وطمساً للهوية والشخصية تحت شعارات تسمح بتمرير هذا الذوبان وهذه التبعية وخداع النفس والآخرين.. ولربما كانت هذه الظروف الأسيفة هي الدافع لظهور بعض المذاهب المتشددة في التفسيرات الحرفية للنصوص، حتى ولو كانت ضعيفة الثبوت على حساب القياس وإعمال العقل، وهي المدارس التي تسمى «مدارس الظاهر» أو مدارس الفهم «الظاهري» المرتبط ارتباطاً كاملاً بدلالات النص اللغوية الظاهرة والرافض لأية مجازات.. أو تفسيرات إشعاعية.

ونحن نعتقد أن هذه المذاهب الأثرية والظاهرية كان لها مبررها العقدي والتاريخي، فقد تألقت في مواجهة عصور التصوف التأويلي والتأويلات التحريفية.

– وقد عقد ابن حزم الأندلسي «ت ٤٥٦ هـ» فصلاً خاصاً في كتابه «الإحكام في

أصول الأحكام» عن ضرورة حمل الأوامر والأخبار على ظواهرها» (١٢).

– ومن خلال أحاديث ابن حزم نستخلص أنه كان يستعمل مصطلح الظاهر الذي نسب إليه منهجه الفكري، بمعنى «الخروج من الخفاء – التأويل» اعتماداً على المعنى الواضح البارز بذاته الذي يستنبطه العقل على البديهة بحكم منطوق اللغة ودلالة مفهوم خطابه الذي يبدو للسامع وفق استعمال العرف والعادة (١٣).

– ومن قول ابن حزم المبين لذلك:

«واعلموا أن دين الله ظاهر لا باطن فيه، وجهر لا سر تحته، كله برهان لا مسامحة فيه، واتهموا كل من يدعو إلى أن يتبع بلا برهان، وكل من ادعى للديانة سراً وباطناً فهي دعاوى ومخاريق، واعلموا أن رسول الله لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها.... ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن (١٤).

– وإذا كان علي حرب قد ضاق ذرعاً بأستاذه ومعلمه محمد أركون عندما أصر على إيمانه بارتباط النص الأول – القرآن – بالوحي وإيمانه الذي جاء متأخراً – بأن الاجتهاد أو التأويل يجب أن ينصب على تخليص النص الأصلي من الاجتهادات التراثية البشرية.. فإننا سنجده يظهر التبرم نفسه من الدكتور نصر أبي زيد لأن هذا الأخير لم يعلن – بالوضوح الذي يريده علي حرب – الرفض لارتباط القرآن بالوحي والمتعالي والإعجاز الرباني...

.... يقول علي حرب في مناقشته لنصر أبي زيد تحت عنوان «التلفيق المنهجي» ولنلاحظ هنا رداءة العنوان.. يقول علي حرب: «مالا يتوقف أبو زيد عن التشديد عليه وترداده على امتداد خطابه، أنه يحاول فهم النص فهماً علمياً لا فهماً غيبياً أسطورياً، وذلك بالتعامل معه باعتباره منتجاً ثقافياً، وبالاعتماد على منهج قوامه أن الواقع هو المدخل إلى فهم النص.

«إن النص في حقيقته وجوهره – كما يرى حرب – مُنْتَجٌ ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاما، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو متفقا عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكر من ثم إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص»

لكن أبا زيد قد سقط في رأي علي حرب حين قال:

«إن الإيمان بالمصدر الإلهي للنص ومن ثم لإمكانية أي وجود سابق لوجود العيني في الواقع والثقافة، أمر لا يتعارض مع تحليل النص من خلال فهم الثقافة التي ينتمي إليها «مفهوم النص ص ٢٤»... وهذا كلام كما يزعم حرب هو «في منتهى التلفيق» (١٥) بل إن حرب يعد هذا النص.. «النص الفضيحة».

– ومرة أخرى نقول: إن التأويل – بهذا المستوى – «الماركسي» الذي يتدنى إليه أمثال علي حرب، وحسن حنفي، خطر على العقل البشري والتراث الإنساني كله.. وقد رأينا من خلال العرض السابق أنه خطر حتى على بعض أصحابه.. فهاهو حرب لا يعجبه محمد أركون ولا نصر أبو زيد.. فهما عنده ملفقان متناقضان.. والنار – كما يقولون – تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله!!

– وإذا كنا لا نميل إلى القول بالظاهر الذي يكاد في بعض الأحيان يقتل دلالات اللغة المجازية المقبولة من المعاجم المعتمدة والمجامع المعتبرة، ويرفض كل تأويل حتى ولوكان يدخل بوضوح شديد في إشعاعات النص ومجازاته، ويخضع لضوابط التأويل المحمود المقبول عقلاً ونقلاً ولغةً..

– إذا كنا كذلك فنحن أيضا نرفض التأويل المعاصر الخاضع للأهواء والشهوات النفسية والإسقاطات الفكرية، ونراه خطراً على العقائد واللغات والآداب والحضارات..

– وفي مجال الأديان بعامة والدين الإسلامي بخاصة نجد كثيرا من العلماء في القديم والحديث، قد رصدوا خطورة التأويل وآثاره المدمرة على حقائق الأديان بعامة.

– كما أن كثيرا من العلماء قد استفاضت أقوالهم في الحديث عن جناية التأويل الباطل على الإسلام، وعلى كل الأديان، وقد أفاض في هذا ابن القيم – رحمه الله تعالى – فذكر أن التأويل أصل خراب الدين والدنيا، فما اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل، والفتن كبيرها وصغيرها إنما وقعت بالتأويل، وأعداء الإسلام إنما سلطوا علينا بالتأويل، ودماء المسلمين إنما أريقت بالتأويل.

– وافتراق اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، والنصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل.

– وما دخل أعداء الإسلام من الفلاسفة المنحرفين والقرامطة والباطنية والاسماعيلية إلا من باب التأويل.

وما سلَّطَ سيوف التتار على دار الإسلام غير التأويل (١٦)

– ولا يخلو الأدب والنقد والفن والتاريخ والفلسفة من آثار هذا المنهج التأويلي المزاجي الإسقاطي.. فطبيعة المنهج أن آثاره ممتدة.. تكاد تنتظم كل الميادين التي تتعامل معها، بل إن هذا الأدب الهابط – شعراً ونثراً الذي يتبنى مقولات الإلحاد والهدم والانحلال – إنما هو في حقيقته رَشْحٌ للتأويلات المزاجية والإسقاطات الفكرية، فضلاً عن ارتباطه بتيارات تقوده إلى أهدافها، وهو يعلم في أكثر الأحايين.وقد ينقاد – جهلاً – في أقل الأحايين.!!

الهوامش :

(١) حسن حنفي: جمال الدين الأفغاني «المائوية الأولى ١٨٩٧ – ١٩٩٧م – الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩م ص٤٠، مصر.

(٢) علي حرب، نقد النص «المقدمة»، نشر بيروت.

(٣) علي حرب: نقد النص ٦٦.

(٤) المرجع السابق ص٦٦.

(٥) الإسلام بين التنوير والتزوير ١٨٨ وما بعدها، دار الشروق ١٩٩٥م.

(٦) محمد عمارة – الإسلام بين التنوير والتزوير ص١٨٩. راجع التراث والتجديد ص٢٨.

(٧) التراث والتجديد ٥٥، نقلا عن محمد عمارة: الإسلام بين التنوير والتزوير ص١٩٠.

(٨) د. محمد عمارة: الإسلام بين التنوير والتزوير ص١٩٠.

(٩) محمد جابر العابدي: المسألة الثقافية في الوطن العربي ص٢٨٠، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط٢، ١٩٩٩م.

(١٠) الجابري – المرجع السابق ص٢٧٩.

(١١) الجابري: المرجع السابق ص ٢٨٠.

(١٢) الإحكام، الجزء الثالث، البأب الثاني عشر.

(١٣) انظر ابن حزم: الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، ص ٩٤، تحقيق إحسان عباس – دار العروبة – القاهرة ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م.

(١٤) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١١٦/٢ طبع المثنى بغداد، ومؤسسة الخانجي بالقاهرة.

(١٥) علي حرب،نقد النص ص٢٠٩.

(١٦) التأويل خطورته وآثاره ص٦٦، ٦٧ د. عمر سليمان الأشقر نشر دار النفائس، الأردن ط١/١٤١٢هـ.

الكرم واللؤم

أربع من علامات الكرم : بذل الندى، وكف الأذى، وتعجيل المثوبة، وتأخير العقوبة.

وأربع من علامات اللؤم : إفشاء السر، واعتقاد الغدر، وغيبة الإخوان، وإساءة الجوار.

الباحث الأستاذ أحمد العناني :

• رابطة الأدب الإسلامي العالمية تمثل فكرة رائدة نحو توحيد الثقافة الإسلامية.

• ماأحسست بغربة ولا بخوف ولا بمرض ولا بفقر وأنا أترك كل سربي لأطير نحو نور الله

أحمد العناني

حوار
د.عمر عبد الرحمن الساريسي

من أبرز الملتزمين بالفكر الاسلامي في فلسطين والأردن، منذ أن كان طالباً في الكلية العربية بالقدس الشريف، في نهايات العقد الثالث من هذا القرن. فهو من مواليد «حلحول» من أعمال الخليل بفلسطين عام ١٩٢١م. عمل مدرساً للآداب وتوفر على امتحان المعلمين الأعلى بفلسطين، وحصل على الشهادة الجامعية الأولى في الآداب «ب.ع» من جامعة لندن.

بدأ حياته العملية في تدريس اللغة الانجليزية والعربية في مدرسة الخليل الثانوية ثم في الكلية العلمية الإسلامية بعمان.

وفي عام ١٩٧١م التحق بحكومة قطر مستشاراً للشؤون الثقافية، ورئيساً لقسم الترجمة والوثائق. وفي هذه المدة أنجز أبرز أعماله المكتوبة ومنها: مخطوط في ألف وخمسين صفحة عن تاريخ الخليج العربي، ومخطوط عن مدينة الدوحة، وترجم أربعة عشر مجلداً شكلت الموسوعة المعروفة بدليل الخليج. وقد قام بهذا العمل وحده في مدة لم تزد عن ست سنوات.

نشر كتبه في عمان والقاهرة والدوحة في حقول التاريخ والترجمة والأدب، من ذلك مجموعتان قصصيتان الأولى حبّة البرتقال وقد صدرت عام ١٩٦٢م عن دار المعارف بالقاهرة، والأخرى مجموعة من القصص الإسلامي بعنوان مواكب العلماء، وقد صدرت في القاهرة أيضاً.

وفي عمان نشر مجموعة من الكتب الإسلامية هي الأدب من منظور إسلامي، وفلسطين من منظور إسلامي، والتاريخ من منظور إسلامي، والوطن والعروبة من منظور إسلامي. وقد بلغ مجموع كتبه اثنين وثلاثين كتاباً ليس منها الموسوعة الآنفة الذكر، وقد توجهنا إليه بعدة أسئلة أجاب عليها جميعا بكل مودة وتقبل.

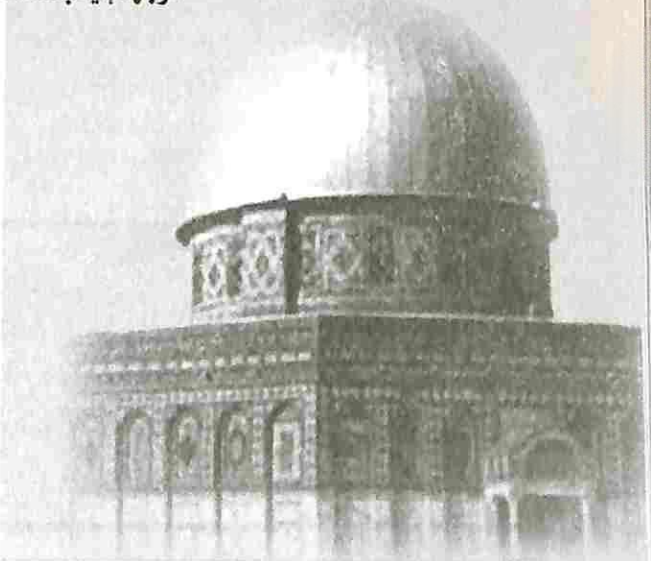

*** أنت من الكتاب القلائل الذين كتبوا في الأدب الاسلامي منذ وقت مبكر، فهلا حدثتنا عن أسباب تخيرك لهذا الأدب في البدايات من الخمسينات؟**

- ملاحظتك عن ندرة الكتاب الإسلاميين خارج مصر في نهاية الجزء الأول من القرن ملاحظة صحيحة، ولذلك أسباب، أهمها انبهار العرب بالحركة القومية ربما كرد فعل لحركة الاتحاد والترقي التركية، وما كشف عن الأتراك في عهد كمال أتاتورك الذي كان بشهادة الوثائق البريطانية والفرنسية وغيرها يأتمر بأمر قوى غربية، آخر ما يشغل بالها مستقبل الإسلام والمسلمين.

لكن التعميمات في مثل هذه الأمور لا تفيد الحقيقة، كان أبي - بمقاييس عصره رجلا مثقفا، خاصة في موضوع المسألة الشرقية، التي كان يعلم

تفصيلاتها علما مذهلا - دون أي مبالغة، وكان أبي في ريعان عمره ملازما في الجيش التركي، ومتحمسا للوحدة الإسلامية، ولاشك أنه أثر فيّ بعمق، وعزز ذلك التأثير وَرَعُ والدتي، رحمة الله عليها.

كنت أتلمس في فلسطين رجلا يتحمس للرابطة الإسلامية، إلى أن ظننت من بعيد، أن رجلا في اسمه «رستم»، ولا أدري أذلك اسمه أم اسم أسرته.. لم يكن عربيا، وكان يكتب ممجدا للإسلام.. وحين أتيح لي، وأنا طالب في الكلية العربية، أن أراه يدخن السيجارة في رمضان، وهو في أحسن صحة، كفرت به كفرا تاما، وأخبرته برأيي فيه، فقال : «أنت تلميذ تأخذ الأمور بجد» تقديري للإسلام لا يعني أنني مسلم ملتزم»! كان هناك انشقاق حقيقي بين العقيدة والعمل.. وكنت أصعق لدى ملاحظتها.. ثم جاء زائر أجنبي بمنصب عال جدا مع مدير المعارف الإيرلندي، فاريل، فأبدى استهجانه أن يرانا نحفظ «هوراس» و«فرجيل»، في الكلية العربية بالقدس، بينما تهيأ للإسرائيليين فرص تعليم التكنولوجيا والارتقاء لأعلى مستويات العصر.. وأثرت فيّ ملاحظات الرجل التي وصلت واضحة إلى سمعي.. وحولتني إلى تيار الثقافة الإسلامية، والعلوم الإسلامية، وسيرة الرسول ﷺ ، والتاريخ الإسلامي وكان هناك سؤال خطير أرقني جدا، وهو «لماذا توقفت عجلة الحياة والعلم في العالم الإسلامي؟ لماذا؟ مع أن القرآن العظيم ثورة ضد الظلم، وسوء توزيع الثروات، والخرافة، والجهل، والكسل، والعجز ؟ وقررت البحث عن الجواب في دراسة ناقدة لكل العصور الإسلامية، بدءاً من خلافة عثمان، رضي الله عنه، وانتهاء بهذه الأيام «أعني عصر الخمسينات».

ولم أزل طالبا يحاول الرد على تلك التساؤلات.. صحيح أني وصلت لمجموعة من القناعات، منها انبعاث القبلية الجاهلية، وسوء التصرف بأموال بيت المال، وتعطيل مؤسسة أهل الحل والعقد، ومواجهة المعارضة من الشيعة والخوارج وغيرهم بحد السيف، وأمور أخرى.

ووجدتني أقف حياتي كلها وأنذرها للإسلام.. الإسلام كان معي وأنا أُعَلم، ومعي وأنا أحاضر، ومعي وأنا أترجم، ومعي وأنا أذيع، الإسلام مفترى عليه، وهو قادر على إنقاذ البشرية من كل مظاهر أزمتها الحالية الطاحنة، وأن التوجه الحالي نحو العولمة وحقوق الإنسان يشكل تعزيزا لجانب من رسالة الإسلام العظمى.

*** ألم تكن تحس بالغربة وأنت تطير خارج السرب وحدك، والناس بين وطني وأممي؟ ماذا كانت تعني لك هذه الغربة؟**

- أؤكد لك بكل الصدق أنني ما أحسست بغربة، ولا بخوف، ولا بمرض، ولا بفقر، وأنا أترك كل سربي، لأطير حيثما أظن أنني متوجه إلى نور الله.

لم أكن وطنيا، لأنني أكره الانتهازية كره الموت، وأكثر هؤلاء انتهازيون طلاب وظائف وكراسي وامتيازات، ولم أكن أمميا بالمعنى الشيوعي لأنني أحترم نفسي كذات كرمها الله بحق.

*** «حبة البرتقال» عمل أدبي وقصصي، فيه الانتماء للوطن والالتزام بالدين، فهلا حدثتنا كيف جمعت بين هذه الأطر؟**

- من قال إن الله تعالى ورسوله ﷺ، زهدا المؤمن في وطنه؟! أليس الله الذي يوصي بذي القربى؟ أليس الله تعالى يدعو إلى التعاون على البر والتقوى؟

كل قيمة عربية رائعة داخلة في الإسلام، وتلاقي احترامه، ولكن الإسلام ضد العصبيات العرقية، واعتبارات الدم الأزرق، والتعاون على المنكرات والظلم.

الإسلام طبعا ضد مُثُل النازية، والفاشية، والاتحاد والترقي، وبعض توجهات القوميين العرب.

أرجو الرجوع إلى كتابي «الوطن والعروبة من منظور إسلامي».

محمد إقبال

*** مقالاتك في «الأفق الجديد» تمثل الخط الإسلامي في المقالة» ماهي قناعاتك في هذا الخط وماهي استمراريته؟**

- كتاباتي في الأفق الجديد المقدسية، وفي المنار، والدستور، ورسالة المعلم، والعهد، والدوحة ، والعرب، والهيرلد تربيون، والرأي، والإسلام اليوم «المغربية» و«اليوم» السعودية، وغيرها.. هو.. هو.. الإسلام - مشكلاته، تاريخه، أنماطه المثلى - إحياء كل ما اندثر على يد المسلمين من مزاياه.. إلخ.

الإسلام معي وأنا أعلم، ومعي وأنا أحاضر، ومعي وأنا أترجم، ومعي وأنا أذيع. الإسلام مفترى عليه، وهو المنقذ الوحيد للبشرية من كل مظاهر أزمتها الحالية الطاحنة

شيء واحد أنا يا سيدي ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾

*** كان يشارك معك في «الأفق الجديد» مجموعة من الشعراء الذين عرفوا لاحقا بالشعراء الإسلاميين – أحمد فرح عقيلان – عبد الرحمن بارود، أمين شنار، وليد الأعظمي، فما رأيك في هؤلاء الشعراء وفي أشعارهم؟**

– أذكر أنني ظللت أرى التوجه الإسلامي عند هؤلاء جميعا، مع نزعة صوفية عميقة ومشرقة عند أمين شنار.

*** هل الأدب الإسلامي في إطار اللغة العربية أكثر ترجمة وأصالة للفكر الإسلامي من ذاك الملتزم بالإسلام، المكتوب بغير العربية؟**

– المضامين والمحتويات الإسلامية تجد في العربية أروع إطار، يبرز جمالها السامي، وأسلوبها الإلهي الأمثل.. ولا يمكن للنصوص الأساسية كالقرآن والحديث أن تصل ترجمتها في أية لغة إلى مستواها الرفيع بالعربية، وأية ترجمة لمعاني القرآن الكريم مهما بلغت دقتها لا تسمى قرآنا، ولا يمكن أن تحمل روعة النص الإلهي العربي المعجز بحال.

إن أية أفكار لمسلمين غير عرب في غير تلك النصوص لابد أن تظهر باللغة التي كتبت بها رائعة حقا، وهذا هو الحال مع المرحوم محمد إقبال.. إن قراءته بالأردية تثير انفعالات وقناعات أكبر مما تفعل بأية لغة، لكن إقبالاً لو كانت العربية لغته الأم لكان لنظمه بها رونق أسمى وحلل أثمن من الأردية أو الإنجليزية.

أدب إقبال إسلامي عالمي إنساني، وروعته في الدرجة الأساسية تكمن في مضمونه.. إنني أحب إقبالاً حين أقرؤه بالعربية أو الإنجليزية، وأتمنى لو كنت أعرف الأردية والتعرض لقيمة إقبال كمثل القول للشمس : يا شمس أنت مضيئة.. رحم الله محمد إقبال.

*** ماذا ترى في رابطة الأدب الاسلامي العالمية وفي مكاتبها وفي مجلتها؟**

– رابطة الأدب الإسلامي العالمية تمثل فكرة رائدة نحو توحيد الثقافة الإسلامية في العالم، كمقدمة لإعادة توصيل مزقه التي مزقها الاستعمار.

إنني أجل العلامة الندوي إجلالا كبيراً، ولقد زرت جامعة عليكرة معقله وأمثاله من حماة الإسلام في الهند، والفكرة رائعة، وقد تشرفت مراراً بإثبات عضويتي فيها على صدر العديد من مقالاتي..

إنني سعيد بتكاثر مكاتب الرابطة في العالم الإسلامي، وإني أكون سعيدا بكل فرصة تتاح لدعمي مكتب عمان أو أي مكتب آخر إننا جميعا في مركبة واحدة، هدانا الله للتواد والتراحم.

ولكني أكرر نصحا قديما لي يضبط البريد المتبادل بين المكاتب، والالتزام بموعد دقيق لا يتغير بصدور المجلة وتوافرها في أطراف العالم الإسلامي.. وأوصي بالالتزام الدقيق بزواياها الثابتة، وكتابها، ما ظلوا أحياء.. وإن شاء الله سيكون لي جهد مسعد في هذا الصدد قريبا جدا.

*** ماذا تؤمل من حَمَلَة راية الأدب الإسلامي في الوقت الحاضر؟**

– أولا: المساهمة في قيادة التوجهات الإسلامية الفكرية، وجلاء حقيقة الإسلام في وجه وسائل الإعلام الفاجر المعادية، وسعيها لتصوير المسلمين وكأنهم وحوش وسفكة دماء وأعداء للإنسانية.

ثانيا: رفع مستوى ما ينشر في كل المجالات لزيادة احترام المجلة والأخذ عنها.

ثالثا: في كتابي «الأدب من منظور إسلامي» الصادر بعمان، أواخر الثمانينات، صورة وافية عن فهمي للأدب الإسلامي.. الإسلام هو الحقيقة، وهو الحل الأمثل، وهو الحقيقة البازغة من ركام الجهل والإذلال والاستعمار، والأدب الإسلامي هو صورة هذه النهضة العظمى، وهو الأدب الذي يبقى.

*** بماذا تحب أن تنصح أدباء الإسلام؟**

– أنصحهم بالصدق مع الله تعالى، ومع رسوله الكريم، ومع أنفسهم، وأنصحهم بالتأمل الناقد، والقراءة المستفيضة العميقة، والنظر الدقيق في كيفية وضع الحلول اللازمة للمواءمة الممكنة بين أصالتنا وحاجاتنا للتغيير والتقدم والقوة.

*** ماذا ترى في فلسطين : وطنا جغرافيا نحبه، أم داراً إسلامية يقتضينا الدفاع عنها؟**

– فلسطين وطن باركه الله، وبارك حوله، وأعز شأنه، وأبدع جوه، وزكى ثمره، وأوجب الجهاد فيه إلى قيام الساعة.

فلسطين ركن من ديننا، وشرط لمرضاة الله عنا، وضرورة لاستعادة عزة الأمة ورأب صدعها، وضمان لنهضة المسلمين.

سئل عبدالله بن المبارك :

لو أن الله أوحى إليك : أنك تموت العشية، فماذا أنت صانع ؟

فقال : أقوم وأطلب العلم حتى يأتي الممات.